السّلسبيل. فلا نامت أعين الجبناء والمنافقين والخونة في كلّ زمانٍ ومكان.

إنّ هؤلاء المنافقين الّذين تركوا الجبهة وعادوا إلى المدينة، والّذين يستأذنون في العودة، لو دخل الأعداء عليهم المدينة من جهاتها ونواحيها ثمّ طلبوا منهم الشّرك وترك الإيمان إلى الكفر لأعطوا الفتنة على الفور وأعلنوا الكفر حالاً، وما تردّدوا في اعتناق الشّرك، وإعلان الكفر، ولم تتأخّر استجابتهم إلاّ الوقت القصير الضّروريّ الّذي يحتاجه الإعلان عن قبول الشّرك واعتناق الكفر.

وبعض هؤلاء تركوا الجبهة أو استأذنوا في تركها وكانوا قد عاهدوا الله تعالى من قبل أنّهم لا يولّون الأدبار، ولا ينكصون على أعقابهم، ولا يفرّون من الميدان، ولا يتركون جبهة القتال. وقد نكث هؤلاء العهد، ونقضوا الميثاق. وكان الإنسان مسئولاً عن العهد الّذى قطعه لله تعالى على نفسه، ومحاسباً على نكث العهد ونقض الميثاق.

قل يا محمّد لأولئك المنافقين الجبناء لن ينفعكم الفرار من الموت حتف الأنف أو القتل في ميدان الشّرف والرّجولة. ويلاحظ تقديم الموت حتف الأنف في الذّكر على القتل لحرص المنافقين على حياة الذّلّ والهوان، وفرارهم من كلّ مواقف الرّجولة والتّضحية. وحتّى حينما يفرّ المنافقون ويظنّون أنّهم ابتعدوا عن أسباب الموت ومكامن الخطر فإنّهم لن يمتّعوا في هذه الدّنيا إلاّ قليلا، لأنّ كلّ نفسٍ ذائقة الموت، ولأنّ كلّ آتٍ قريب.

قل يا محمّد لأولئك الحريصين على الفرار من الموت أو القتل مَنِ الّذى يحميكم من الله تعالى إن أراد بكم سوءاً، ومَنِ الّذى يستطيع أن يصيبكم بسوءٍ إن أراد تعالى بكم رحمة؟ لا أحد. فعليكم أن تؤمنوا وتتّقوا وتتوكّلوا على الله تعالى وحده لا شريك له.

إنّ هؤلاء المنصرفين عن الله تعالى لن يجدوا لهم من دون الله تعالى ومن غيره وليّا يتولّى أمورهم ويرعى مصالحهم، ولا نصيراً يدفع العذاب عنهم أو يصرفه.

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

قد: حرف تحقيق(١)

المعوّقين: المثبّطين(٢)

هلمّ: اسم فعل أمر بمعنى أقبلوا. والفاعل ضمير مستتر تقدره أنتم(٣) وتعالوا ودعوا محمّداً فلا تشهدوا معه مشهده فإنّا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه(٤)

ولا يأتون البأس إلاّ قليلا: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلاّ تعذيراً ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين(٥)

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٢٤٥

(٢) الجلالين

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٢٤٥

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/ ٨٩

(٥) تفسير الطّبرى ٢١/ ٨٩

أشحّةً عليكم: الشّحّ بخلٌ مع حرص(١) أشحّة: حال منصوبة من فاعل يأتون(٢) كأنّه قيل: هم جبناء عند البأس أشحّاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة(٣)

كالّذى يُغْشَى عليه من الموت: كدوران عين الّذى يغشى عليه من الموت النّازل به(٤) وغُشِي على فلانٍ إذا نابه ما غَشِيَ فهمه(٥)

سلقوكم بألسنةٍ حداد: عضّوكم بألسنةٍ ذربة(٦) والسَّلْق بسطٌ بقهرٍ إمّا باليد أو باللّسان(٧)

أشحةً على الخير: أشحّةً على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون(٨)

بادون في الأعراب: تقول قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو وهو باد. وأمّا الأعراب فإنّهم جمع أعرابيّ. واحد العرب عربيّ. وإنّما قيل أعرابيّ لأهل البدو فرقاً بين أهل البوادى والأمصار. فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر(٩)

إلاّ قليلا: إلاّ تعذيراً، لأنّهم لا يقاتلون حسبةً ولارجاء ثواب(١٠)

تتحدّث الآيات الكريمات عن بعض صفات المنافقين. وهذه الصّفات تتحقّق أو يتحقّق بعضها في المنافقين السّابقين وفي غيرهم من المنافقين. يقرّر السّياق أنّ الحقّ جلّ وعلا يعلم علم اليقين المثبّطين للمؤمنين عن الجهاد من هؤلاء المنافقين. وقد يكون هؤلاء المثبّطون مندسّين في صفوف المجاهدين في جبهة القتال. كما يعلم جلّ وعلا علم اليقين

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى: «شح» ١/٣٣٧

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/٢٤٥

(٣) تفسير الطّبرى ٢١/٨٩

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/٨٩

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «غشى» ٢/٤٦٨

(٦) تفسير الطّبرى ٢١/٩٠

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: «سلق» ١/٣١٥

(٨) تفسير الطّبرى ٢١/٩٠

(٩) تفسير الطّبرى ٢١/٩١

(١٠) تفسير الطّبرى ٢١/٩١

القائلين لإخـوانهم في النّسب من الأوس والخـزرج على جهة الخصوص، تعـالوا إلينا، واقدموا نحونا، وانضمّوا إلى صفوفنا، وشاركونا النّعيم المقيم، والظّلّ الظّليل، والطّعام الهنيء، والشّراب المريء، واتركوا النّبيّ ﷺ والصّـحابة، وبخاصّة المهاجرون، يباشرون قتال المشركين الّذين رموهم عن قوسٍ واحدة، ويلقون مصيرهم وحتفهم.

ولو فُرِض أنّ هـؤلاء المنافقين كانـوا في صفوفكـم حينما تـنشب المعركة ويَـحْمَى الوطيس فإنّهم يـقاتلون شكلاً لا جوهرا، منظراً لا مخبرا، ومـن أجل أن يأمنوا عقاب المؤمنين لهم على نفاقهم وغشّهم.

وهم بخلاء على المؤمـنين بل أشحّةٌ عليهم، إنّ البخيل إذا كان يمـنع حقّه ومعروفه أن يصل الآخرين وينالـه المحتاجون، وكان الشّحيح يمنع الآخريـن حقوقهم، فإنّ هؤلاء المنافقـين حريصون على أن يـصرفوا عن المؤمنـين كلّ خيرٍ يستـحقّون من نصرٍ وغـنيمة ونباهة ذكرٍ ورفعة شأن.

وهؤلاء المنافقون جبنـاء ساعة الفزع، سليطو اللّسان ساعة الـطّمع، حريصون على أن يكون الخير محصوراً فيهم، والغنيمة مـقصورة عليهم وإن كان غيرهم هو الّذي قاتل وأبلى بلاءً حسنا.

إنّ هؤلاء المنافـقين الشّحيحين بالخـير على المسلمين إذا جـاء الخوف، وجدّ الجدّ، وحقّ القتال، رأيتـهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ الـعظيم ينظرون إليك وتستـقرّ أعينهم عليك بعد أن دارت تلك العيون في كلّ اتّجـاه بباعث الرّعب، وكأنّ الواحد منهم ذلك الّذي أُنْزِل ساحة القتل، وحضرته أسباب الموت، فـهو يترقّب السّيّاف أن يباغته من كلّ ناحية، ويتوقّع الموت أن يطلّ عليه من كلّ جـهة. إنّ هذا هو حال المنافقين الجبناء الّذين يتوقّعون المـوت من كلّ مكان. وفي كلّ مرّة تتحـوّل أعينهم إلى جهةٍ تعود كـي تستقرّ على المصـطفى ﷺ رغماً عنهـم، وإحساساً فطرياً منـهم، بأنّه عليه الـصّلاة والسّلام، بفضل الله تعالى، ملاذ الخائفين. لِتَنْظُرْ إذن عيون المـنافقين إليه، ولتستقرّ عليه، فكيف بعيون المؤمنين المتّقين وأفئدتهم.

فإذا ذهب الخوف وزالت أسـبابه، سلقكم أولئك المنـافقون بألسنتهم أيّـها المؤمنون

وحرقوكم بها غمزاً ولمزا. فإذا كان ثمّة نصرٌ من الله تعالى لكم وغنيمة، كانوا شحيحين عليكم بأيّ خير، حريصين على أن تكون الغنيمة لهم وحدهم، والخير محصوراً فيهم، مقصوراً عليهم.

إنّ أولئك لم يؤمنوا إيماناً حقيقيّاً كاملاً فأحبط عزّ وجلّ أعمالهم الصّالحة لأنّهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى بل أرادوا جمال الذّكر وحسن الأُحْدوثة. وكان إحباط تلك الأعمال يسيراً على الله تعالى.

وهؤلاء المنافقون يظنّون أنّ الأحزاب لم يعودوا إلى ديارهم رغم أنّهم عادوا فعلاً ولكنّه الجزع والجبن. وإن يأت الأحزاب مرّةً أخرى ويرجعوا بعد ما ذهبوا يودّ المنافقون ويتمنَّوْا لو أنّهم لم يكونوا معكم من أهل المدنية المنوّرة، وأنّهم كانوا موغلين في أعماق البادية مع الأعراب الموغلين في البداوة البعيدين عن الأمصار. إنّهم يسألون عن أنباء المؤمنين المهمّة ومصائبهم المدلهمّة اعتقاداً منهم أنّ الدّائرة على المؤمنين. ولو كان أولئك المنافقون في صفوفكم ما قاتلوا معكم إلاّ قتالاً ناعماً لا شوكة فيه ولا نكاية لعدوّ: ﴿ولأ وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾(١) ولحرصوا على السّعي بينكم بالفساد، وتمزيق الصّفّ، ولأوغروا الصّدور، وأفسدوا القلوب، وعكّروا النّفوس. والعياذ بالله.

---

(١) سورة التّوبة ٤٧

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

أسوة: الأسوة هي الحالة الّتى يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره(١)

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر: لمن كان يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة(٢)

وذكر الله كثيراً: وأكثر ذكر الله في الخوف والشّدّة والرّخاء(٣)

تقرّر الآية الكريمة أنّ لنا نحن المسلمين في المصطفى ﷺ أسوةً حسنةً نتّبعها، وقدوةً مثلى نحذو حذوها، في الأقوال والأفعال والأحوال. إنّ الّذي يتأسّى بالنّبيّ ﷺ هو الّذى يرجو أن ينال ثواب الله تعالى ورحمته في الدّنيا والآخرة ويخاف عذابه، وهو الّذى يذكر الله تعالى ذكراً كثيراً في كلّ الأحوال، وذلك لسهولة الذّكر على اللّسان. إنّ الذّكر هو الشّعيرة الدّينيّة الوحيدة الّتى لم يضع الشّارع الحكيم حداً لها ونهاية، لأنّه يصحّ أن يجري على اللّسان في كلّ الأحوال، دون أدنى مشقّة.

وبشأن هذه الآية الكريمة العظيمة المعنى والمبنى نحن نودّ أن نذكر مجموعة من الأمور في هيئة نقاط.

١ ـ جاء في هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة البيان الصّريح من ربّ العزّة والجلال بأنّ لنا نحن المسلمين أسوةً حسنةً نتأسّى بها ونقتدى في شخصيّة المصطفى ﷺ، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين سيّدنا محمّد بن عبدالله ﷺ، وجاء في سورة الممتحَنة أنّ لنا نحن المسلمين أسوةً حسنةً كذلك في إبراهيم عليه السّلام أبى

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى: «أسا» ١/ ٢٢

(٢) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩١

(٣) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩١

الأنبياء وذلك في الآيتين الكريمتين الرّابعة والسّادسة. قال عزّ من قائل(١): ﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والّذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدابيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء. ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربّنا لا تجعلنا فتنةً للّذين كفروا واغفر لنا ربّنا. إنّك أنت العزيز الحكيم. لقد كان لكم فيهم أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. ومن يتولّ فإنّ الله هو الغنيّ الحميد﴾

وهل يمكن اتّخاذ إبراهيم عليه السّلام أسوةً حسنةً ونحن لا نعرف عن صحف إبراهيم عليه السّلام الّتى جاء ذكرها في القرآن الكريم إلاّ الاسم؟ لا يمكن اتّخاذه عليه الصّلاة والسّلام أسوةً حسنة لأنّ المصادر لا تسعف على ذلك. فما المقصود باتّخاذه عليه الصّلاة والسّلام إذَنْ أسوةً حسنة؟ المقصود اتّخاذ محمّد بن عبدالله ﷺ أسوةً حسنة، لأنّ ربّ العزّة والجلال بعث محمّداً ﷺ بحنيفيّة إبراهيم عليه السّلام السّمحة في صورتها الأخيرة والكاملة. وممّا جاء مَثَلاً في هذا المعنى قول الحقّ جلّ وعلا في سورة النّحل(٢): ﴿ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين﴾ ومِنْ أقرب ما يُذْكر في هذا الشّأن الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام. إنّ سورة الحجّ مثلاً تتحدّث عن الحجّ في حنيفيّة إبراهيم عليه السّلام وقد طبّق المصطفى ﷺ في حجّة الوداع ما ورثه عليه الصّلاة والسّلام من حنيفيّة إبراهيم عليه السّلام في الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام.

٢ ـ محمّد بن عبدالله ﷺ هو النّبيّ الوحيد الّذي يمكن اتّخاذه أسوة حسنة لأنّ كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في حياته عليه الصّلاة والسّلام معروفةٌ لنا نحن المسلمين. إنّه لا يمكن اتّخاذ أيّ نبيّ آخر أسوةً حسنة، لأنّ أكثر جوانب حياتهم أجمعين مجهولة، وفيهم أشهر أولئك وأكثرهم أتباعاً، عيسى ابن مريم، عليه الصّلاة والسّلام. إنّ الدّراسات الجادّة الحديثة انتهت إلى أنّ كلّ المعروف عنه عليه الصّلاة والسّلام، يتعلّق بالخمسين يوماً

(١) سورة الممتحنة ٤ ـ ٦

(٢) الآية ١٢٣

الأخيرة فقط من حياته عليه الصّلاة والسّلام. ثمّ إنّه عليه الصّلاة والسّلام متخصّصٌ في الرّوحانيّات، ومعروفٌ أنّ الحياة روحٌ ومادّة(١)

٣ ـ سيرة المصطفى ﷺ هي السّيرة الوحيدة في الدّنيا الكاملة العلميّة العمليّة. وأهمّ مصادر السّيرة النّبويّة الشّريفة كما هو معروفٌ القرآن الكريم الّذى تكفّل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدّين، والسّنّة النّبويّة المطهّرة الّتى محّصها العلماء الغُيُر تمحيصًا. والمراد أقوالُه ﷺ وأفعالُه وتقريراتُه أي ما أقرّ الآخرين على فعله، وصفاتُه، وكتب السّير والتّاريخ، والشّعر الّذى قيل فيه ﷺ. ومن هذا الشّعر ما جاء في صحيح البخارى.

٤ ـ الآية الكريمة من سورة الأحزاب الّتى تبيّن للمسلمين أنّ لهم في محمّدٍ ﷺ أسوةً حسنةً تجيء في أثناء حديث الآيات الكريمات من السّورة عن غزوة الأحزاب الّتى هي أشقّ الغزوات نفسيّاً على المصطفى ﷺ والمسلمين، وذلك معناه أنّ علينا نحن المسلمين أن نتّخذ من محمّد ﷺ أسوةً لنا في كلّ شأنٍ من شئون حياتنا وبخاصّةٍ في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى. إنّ على المسلمين أن يعوا درس الجهاد في سبيل الله تعالى جيّداً وأن يُعِدُّوا لأعداء الله تعالى ما استطاعوا من قوّة. إنّ المسلمين حينما يتأسَّوْن بالمصطفى ﷺ في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى سيرفع عزّ وجلّ عنهم بإذنه الذّلّ الّذى حلّ بهم.

٥ ـ تتّسع شخصيّة محمّد بن عبدالله ﷺ وَحْدَه لاستيعاب كلّ شخصيّات الإنسانيّة، كي تجد في شخصيّة المصطفى ﷺ أسوتها الحسنة لتتأسّى بها. كن من شئت فستجد في شخصيّة محمّدٍ ﷺ أسوتك الحسنة، واجتهد في الجانب الضيّق المتخصّص أنت فيه فلعلّك تبلغ أدنى سفوح قمّة عظمته عليه الصّلاة والسّلام في هذا الجانب الضيّق الّذى أنت متخصّص فيه. كن ـ مثلاً ـ زوجاً أو أباً أو جدّاً أو حاكماً أو قاضياً أو معلّماً أو طالب علم أو محكوماً أو منتصراً أو ـ لا سمح الله ـ منهزمًا، أو مبرم معاهدات وعهود وعقود، كن قائداً أو تاجراً، كن من شئت فستجد أسوتك الحسنة في محمّد بن عبدالله ﷺ.

---

(١) انظر مثلاً دائرة المعارف البريطانيّة طبعة عام ١٩٧٥م

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾
مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله: من الابتلاء والنّصر(١)

وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليما: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلاّ إيماناً بالله وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النّصر والظّفر على الأعداء(٢)

فمنهم من قضى نحبه: النّحب بمعنى الموت والنّذر والعهد(٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النّصر: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾(٤)

وعن أنس رضي الله عنه أنّ عمّه غاب عن بدرٍ فقال: غبت عن أوّل قتال النّبيّ ﷺ. لئن أشهدنى الله مع النّبيّ ﷺ ليَرَيَنّ الله ما أجدّ. فلقي يوم أُحُد فَهُزم النّاس فقال: اللّهمّ إنّى أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء، يعنى المسلمين، وأبرأ إليك ممّا جاء به

(١) الجلالين

(٢) تفسير الطّبرى ٢١/٩١

(٣) انظر تفسير الطّبرى ٢١/٩١

(٤) فتح البارى ٨/٥١٨ حديث رقم ٤٧٨٣

المشركون. فتقدم بسيفه، فلقي سعد بن معاذٍ فقال: أين يا سعد؟ إنّي أجد ريح الجنّة دون أحد. فمضى فقُتِل، فما عُرِف حتّى عرفته أخته بشامة أو ببنانه، وبه بِضْعٌ وثمانون، من طعنة، وضربة، ورمية بسهم(١)

وما بدّلوا تبديلا: وما غيّروا العهد الّذى عاقدوا ربّهم تغييراً كما غيّره المعوّقون القائلون لإخوانهم هلمّ إلينا والقائلون إنّ بيوتنا عورة(٢)

بغيظهم: بكربهم وغمّهم بفوتهم ما أمّلوا من الظّفر، وخيبتهم ممّا كانوا طمعوا فيه من الغلبة(٣)

عزيزا: هو شديدٌ انتقامه ممّن انتقم منه من أعدائه(٤)

ولمّا رأى المؤمنون المجاهدون في سبيل الله تعالى الّذين لهم في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ وأبصروا الأحزاب من مشركى قريش وغطفان قالوا هذا ما وعدنا الله تعالى ورسوله ﷺ من الابتلاء والنّصر، وصدق الله تعالى ورسوله ﷺ الّذى بلّغ عنه. لقد جاء فيما أوحى الحقّ جلّ وعلا إلى رسوله الكريم ﷺ قوله عزّ من قائل(٥): ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مَثَلُ الّذين خَلَوْا مِنْ قبلكم مسّتهم البأساء والضّرّاء وزُلْزِلوا حتّى يقول الرّسول والّذين آمنوا معه متى نصر الله. ألا إنّ نصر الله قريب﴾ وما زادا المؤمنين مجيء الأحزاب إلاّ إيماناً بالله تعالى، وتصديقاً لوعده، وتسليمًا لقضائه، وإذعاناً لمشيئته.

من هؤلاء المؤمنين رجالٌ كاملو الرّجولة والشّهامة والمروءة صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه من بذل النّفس والنّفيس في سبيله جلّ وعلا فجاهدوا في سبيله عزّ وجلّ حقّ الجهاد، فمن هؤلاء الرّجال من قضى نحبه، وأوفى بنذره وعهده، ولقي ربّه، وكأنّ الموت الّذى لاقاه العهد المؤكّد الّذى أخذه على نفسه فحرص جاهداً على الوفاء به حتّى

---

(١) فتح البارى ٧/ ٣٥٤ حديث رقم ٤٠٤٨

(٢) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٤

(٣) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٤

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٥

(٥) سورة البقرة ٢١٤

أدرك بفضل الله تعالى الشّهادة، وكان من الشّـهداء السّعداء، كأنس بن النّضر رضي الله تعالى عنه. ومن هؤلاء الرّجال من هو في ميـدان الجهاد في سبيل الله تعالى ينتظر دوره في الوفـاء بالعهد، وملاقـاة الموت في ميدان الـقتال، والظّفـر بالشّهادة من بـين الّذين اتّخذهم الله تعالى شهداء سعداء، أحياءً عند ربّهم يرزقون، فرحين مستبشرين بالّذين لمّا يلحقوا بهم. إنّ هؤلاء الرّجال المؤمنين المجاهدين في سبيل الله تعالى ما بدّلوا تبديلا.

ليجزي عزّ وجل الصّادقين من هؤلاء المؤمنين المجـاهدين بصدقهم ويعذّب المنافقين الّذين تحدّثـت السّورة الكريمة عنـهم كثيراً، إن شاء جلّ وعـلا أن يعذبهم فلم يـوفّقهم للتّوبة والعـمل الصّالح، أو يتوب الله تعالى علـى أولئك المنافقين، بأن يوفّقـهم للتّوبة وعمل الصّالحات. وكـان الله تعالى غفوراً دائماً وأبداً لمن تاب وأنـاب، رحيمًا بمن آمن وعمل صالحاً.

وصدق الله تعالى عبده، وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده، وردّ الّذين كفروا من قريشٍ وغطفان بغيظهم وحنقهم وخسرانـهم المبين، لم ينالوا خيراً من نصرٍ أو غنيمةٍ أو أسرٍ، وكفى الله تعالى المؤمنين القتال، فقد تكفّل بهذه المهمّة بعض جنوده عزّ وجلّ من الرّيح والملائـكة. وكان الله تعالى دائمـاً وأبداً قوياً قديراً نـصيراً لأوليائه، عزيـزاً غالباً لأعدائه، واضعًا معاطسهم في الرّغام.

عن عبدالله بن أبى أوفى رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللّهمّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزِم الأحزاب، اللّهمّ اهزمهم وزلزلهم(١)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنّ رسـول الله ﷺ كان يقول: لا إله إلاّ الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده(٢) وعن سليمان بن صُرَد رضى الله تعـالى عنه قـال: سمعت الـنّبيّ ﷺ يقـول حين أجلى الأحـزاب عنه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم(٣)

---

(١) فتح البارى ٧/٤٠٦ حديث رقم ٤١١٥

(٢) فتح البارى ٧/٤٠٦ حديث رقم ٤١١٤

(٣) فتح البارى ٧/٤٠٥ حديث رقم ٤١١٠

(٥)
(غزوة بنى قريظة)
الآياتان (٢٦ و ٢٧)

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

في أثناء الحديث عن غزوة الأحزاب أو الخندق تبيّنا غدر يهود بنى قريظة، وانضمامهم إلى المشركين من قريش وغطفان، ونقضهم العهد الّذى كان بينهم وبين النّبيّ ﷺ. وقد بعث النّبيّ ﷺ نفراً من الأنصار وفيهم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه سيّد الأوس للتّأكّد من صحّة ذلك النّبأ. وكان واقع بنى قريظة أسوأ من الخبر عنهم. وشاء الله تعالى أن يصيب سهمٌ في المعركة العِرْق الأكحل(١) من سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه، فجعله النّبيّ ﷺ في مسجده في خيمةٍ لامرأةٍ يقال لها رُفَيدة كانت تداوى الجرحى ابتغاء وجه الله تعالى. وكان بنو قريظة حلفاء سعد بن معاذ في الجاهلية ومواليه، فدعا سعد الله تعالى فقال: اللّهم لا تمتنى حتّى تُقِرّ عيني من بنى قريظة(٢)

عاقب الله تعالى يهود بنى قريظة على غدرهم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا رَجع النّبيّ ﷺ من الخندق ووضع السّلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السّلام فقال: قد وضَعْتَ السّلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال ههنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النّبيّ ﷺ إليهم(٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: قال النّبيّ ﷺ يوم الأحزاب: لا يصلّينّ أحدٌ العصر إلاّ في بنى قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطّريق فقال بعضهم: لا نصلّى حتّى نأتيهم. وقال بعضهم: بل نُصَلّى، ولم

---

(١) الأكحل عِرْقٌ في وسط الذّراع. قال الخليل: هو عرق الحياة. فتح البارى ٧/ ٤١٣

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٠

(٣) فتح البارى ٧/ ٤٠٧ رقم الحديث ٤١١٧

يُرِدْ منّا ذلك. فذُكر ذلك للنّبيّ ﷺ فلم يعنّف واحداً منهم(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعدٌ يوم الخندق، رماه رجلٌ من قريشٍ يقال له حِبّان بن العَرِقة، رماه في الأكحل. فضرب النّبيّ ﷺ خيمةً في المسجد ليعودَه مِنْ قريب. فلمّا رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السّلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السّلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعتَ السّلاح، والله ما وضعتُه. اخرج إليهم. قال النّبيّ ﷺ فأين؟ فأشار إلى بنى قريظة. فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فردّ الحكم إلى سعد. قال: فإنّى أحكم فيهم أن تُقْتَلَ المقاتلة، وأن تُسبى النّساء والذّرّيّة، وأن تقسم أموالهم(٢) قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة(٣)

وقد وافق ذلك قانون الحرب في شريعة بنى إسرائيل. فقد جاء في سفر التّثنية (الإصحاح العشرون ١٠، ١١، ١٢، ١٣) «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصّلح. فإن أجابتك إلى الصّلح وفتحت لك فكلّ الشّعب الموجود فيها يكون لك للتّسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفع الرّبّ إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السّيف. وأمّا النّساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة كلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الّتى أعطاك الرّبّ إلهك»(٤)

ظاهروهم: أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وعنى بذلك بنى قريظة(٥)

مِنْ أهل الكتاب: من أهل التّوراة وكانوا يهود(٦)

---

(١) فتح البارى ٧/ ٤٠٧ حديث رقم ٤١١٩

(٢) فتح البارى ٧/ ٤١١ حديث رقم ٤١٢٢

(٣) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٥١ والأرقعة السّماوات الواحدة رقيع

(٤) السّيرة النّبويّة لأبى الحسن النّدوى ٢١٣ دار الشّروق جدّة الطّبعة الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

(٥) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٥

(٦) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٥

من صياصيهم: من حصونهم[1] والصِّيصِية بكسر الصّاد الأولى بعدها ياء ساكنة فصاد مكسورة فياء مفتوحة والصّيصة بمعنى الحصن والجمع صياصى[2] حصل بشأنها ما يسمّى تطوّر الدّلالة. إنّ الصّيصية تطلق أساساً على الشّوكة في ساق الدّيك الّتى يقاتل بها. وبسبب التّشابة في الشّكل والفعل أطلقت الصّيصية على قرن الثّور الّذى يقاتل به ويطعن. ولإفادة صيصية الدّيك والثّور الامتناع والدّفاع أُطلق لفظ صيصية على الحِصْن. ثمّ أطلقت لفظه صيصية على شوكة الحائك الّتى بها تُهيَّأُ السَّداة[3] واللُّحمة[4] للشّبه بشوكة الدّيك وقرن الثّور من ناحية، ولأنّها كالحِصْن مانعةٌ من فساد الحَوْك والغزل[5]

الرّعب: أشدّ الخوف[6]

فريقاً تقتلون: المقاتلة[7]

وتأسرون فريقا: النّساء والذّرّيّة[8]

وأورثكم أرضهم: مزارعهم ومغارسهم[9]

وديارهم: مساكنهم[10]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٥

(٢) انظر مثلاً مفردات الرّاغب الأصفهانى: «صيص» ٢/ ٣٨٠ والمعجم الوسيط: «الصّيصية»

(٣) السَّدى بفتح السّين ما نُسِجَ من الثّوب طولاً

(٤) اللُّحمة بضمّ اللاّم ما نُسِجَ من الثّوب عرضًا

(٥) درسنا تطوّر دلالة لفظة صيصية في كتابنا: تأملات في سورة الأحزاب ٢٢٤ ـ ٢٢٦ مطبوعات نادى مكّة الثّقافى الأدبى ١٤٠٣هـ

(٦) انظر ـ مثلاً ـ مفردات الرّاغب الأصفهانى: «رعب» ١/ ٢٦١

(٧) فتح البارى ٧/ ٤١٢ حديث رقم ٤١٢٢

(٨) فتح البارى ٧/ ٤١٢ حديث رقم ٤١٢٢

(٩) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٨

(١٠) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٨

وأموالهم: سائر الأموال غير الأرض والدّور(١)

وأرضاً لم تطأوها: قيل هي أرض خيبر وقيل غير ذلك(٢)

وأنزل الله سبحانه وتعالى الّذين أعانوا مشركى قريش وغطفان وظاهروهم ضدّ المسلمين من يهود بنى قريظة أتباع موسى عليه السّلام الّذى أوحى الله تعالى إليه التّوراة أنزلهم من حصونهم الّتى ظنّوها مانعتهم من الله تعالى. إنّهم لا يقاتلون إلاّ من وراء جدر تلك الحصون لجبنهم وحرصهم على أيّ حياة مهما يكن درتها من الذّلّ والهوان. وألقى الله تعالى في قلوب يهود بنى قريظة أشدّ الخوف. ويلاحظ أنّ لفظة الرّعب بعد استعمالها العامّ في الآية الكريمة الثّامنة عشرة من سورة الكهف تستعمل في القرآن الكريم مرّتين اثنتين في حقّ اليهود، ومرّتين اثنتين في حقّ المشركين، ولا تُستَعْمَل هذه اللّفظة في حقّ المؤمنين مطلقاً. تقتلون أيّها المؤمنون فريقاً منهم وهم المقاتلة من الرّجال، وتأسرون فريقاً آخر وهم النّساء والذّرّيّة.

وأورث الله سبحانه وتعالى المؤمنين أرض يهود بنى قريظة بزرعها وغرسها، وديارهم بدورهم ومساكنهم، وسائر أموالهم الأخرى. كما أورث عزّوجلّ المؤمنين كذلك أرضاً لم يطأها المسلمون بعد، وهي أرض خيبر فيما يقال، والّتى فُتِحت بعد ذلك. وكان الله تعالى على كلّ شيء أراده قديراً، فلا يعجزه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

وقد حاصر النّبيّ ﷺ يهود بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلةً فيما يقال(٣) لقد كانت غزوة الأحزاب أو الخندق في شوّال سنة خمسٍ من الهجرة(٤) وبعد انتهائها مباشرة توجّه النّبيّ ﷺ إلى بني قريظة لسبعٍ بقين من ذى القعدة(٥) وهو اليوم الّذي انتهت فيه غزوة الأحزاب أو الخندق.

---

(١) تفسير الطّبرى ٢١/٩٨

(٢) انظر ـ مثلاً ـ تفسير الطّبرى ٢١/٩٨و٩٩

(٣) السّيرة النّبويّة ٣/٢٤٦

(٤) فتح البارى ٧/٣٩٣

(٥) فتح الباري ٧/٤٠٥ و٤٠٨

(٦)
(زوجات النّبيّ ﷺ يخترن الله تعالى ورسوله والدّار الآخرة)
الآيات (٢٨ — ٣٠)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سبب النّزول

عن عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: لمّا أُمِرَ رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى فقال: إنّى ذاكرٌ لك أمراً فلا عليك ألاّ تعجلى حتّى تستأمرى أبويك(١) قالت: وقد علم أنّ أبويّ لم يكونا يأمرانى بفراقه. قالت: ثمّ قال إنّ الله جلّ ثناؤه قال: ﴿يا أيها النّبيّ قل لأزوجك إن كنتنّ تردن الحياة الدّنيا وزينتها - إلى - عظيما﴾ قالت فقلت: ففى أيّ هذا أستأمر أبويّ؟ فإنّى أريد الله ورسوله والدّار الآخرة. قالت ثمّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثلما فعلت(٢)

وروى الإمام أحمد عن جابرٍ قال: أقبل أبوبكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والنّاس ببابه جلوس، والنّبيّ ﷺ جالسٌ، فلم يؤذن له. ثمّ أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له. ثُمّ أُذِن لأبى بكر وعمر فدخلا والنّبيّ ﷺ جالسٌ وحوله نساؤه وهو ساكت. فقال عمر: لأكلّمنّ النّبيّ ﷺ لعلّه يضحك. فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النّفقة آنفاً فوجأت(٣) عنقها. فضحك النّبيّ ﷺ حتّى بدا ناجذه(٤) وقال: هنّ حولى يسألننى النّفقة. فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها، وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النّبيّ

---

(١) أى فلا بأس عليك في التّأنّى وعدم العجلة حتّى تشاورى أبويك. فتح ٨/ ٥٢١

(٢) فتح البارى ٨/ ٥٢٠ حديث رقم ٤٧٨٦ وانظر الحديث رقم ٤٧٨٥

(٣) أي دققته وكسرته

(٤) النّاجذ واحد النّواجذ، وهي من الأسنان الّتى تبدو عند الضّحك

ﷺ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ﷺ. فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله عزّ وجلّ الخيار. فبدأ بعائشة فقال: إنّي أذكر لك أمراً ما أحبّ أن تعجلي فيه حتّى تستأمري أبويك قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: ﴿يا أيها النّبيّ قل لأزواجك﴾ الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: أفيك أستأمر أبويّ؟ بل أختار الله ورسوله. وأسألك ألاّ تذكر لا مرأة من نسائك ما اخترت. فقال: إنّ الله تعالى لم يبعثني معنّفاً، ولكن بعثني معلّمًا ميسّرا. لا تسألني امرأةٌ منهنّ عمّا اخترتِ إلاّ أخبرتها.

انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري. فرواه هو والنّسائي(١)

جاء في فتح الباري(٢): «وفي الحديث ملاطفة النّبيّ ﷺ لأزواجه وحلمه عنهنّ وصبره على ما كان يصدر منهنّ من إدلالٍ وغيره ممّا يبعثه عليهنّ الغيرة(٣) وفيه فضل عائشة لبداءته بها. كذا قرّره النّوويّ. وفيه منقبةٌ عظيمةٌ لعائشة وبيان كمال عقلها وصحّة رأيها مع صغر سنّها، وأنّ الغيره تحمل المرأة الكاملة الرّأى والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها لسؤالها النّبيّ ﷺ ألاّ يخبر أحداً من أزواجه بفعلها» وروي أنّ السّيّدة عائشة رضي الله عنها لمّا اختارت الله ورسوله والدّار الآخرة رُؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ(٤) ثمّ استقرأ(٥) الحُجَر فقال: إنّ عائشة قالت كذا. فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة(٦) فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله ﷺ فاخترنه طلاقاً من أجل أنّهنّ اخترنه(٧)

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٤٠٣

(٢) ٨/٥٢٢

(٣) المقصود: ممّا يبعثهنّ عليه الغيرة

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٥) أي تتبّع حُجَر أزواجه عليه الصّلاة والسّلام أي مساكنهنّ. انظر الفتح ٨/٥٢٢

(٦) تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٧) تفسير الطّبرى ٢١/١٠١

وأزواجه ﷺ إذ ذاك تسعٌ وهنّ:

١ ـ عائشة بنت أبى بكر

٢ ـ حفصة بنت عمر

٣ ـ أمّ حبيبة بنت أبى سفيان

٤ ـ سودة بنت زمعة

٥ ـ أمّ سلمة بنت أبى أميّة

٦ ـ ميمونة بنت الحارث الهلاليّة

٧ ـ زينب بنت جحش الأسديّة

٨ ـ جويرية بنت الحارث المصطلقيّة

٩ ـ صفيّة بنت حُيىّ بن أخطب الخيبريّة(١)

وروي أنّ أزواجه ﷺ كنّ قد تغايرن عليه ﷺ فهجرهنّ شهراً(٢) أو تسعًا وعشرين(٣) ثمّ أنزل التّخيير من الله له فيهنّ(٤) قال قتادة: لمّا اخترن الله ورسوله شكرهنّ على ذلك فقال(٥): ﴿لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ﴾ فقصره الله عليهنّ وهنّ التّسع اللّاتى اخترن الله ورسوله(٦)

فتعالين: قيل أصل تعال أن يُدْعى الإنسان إلى مكانٍ مرتفع، ثمّ جُعِلَ للدّعاء إلى كلّ مكان. قال بعضهم: أصله من العلوّ وهو ارتفاع المنزلة، فكأنّه دعا إلى ما فيه رفعة(٧)

---

(١) البحر المحيط ٧/٢٢٧ وانظر تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٢) تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٣) تفسير القرطبى ٥٢٤٥

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٥) سورة الأحزاب ٥٢

(٦) ا تفسير الطّبرى ٢١/١٠٠

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: «علا» ٢/٤٤٩

أمتّعكنّ: أمتّعكنّ ما أوجب الله على الرّجال للنّساء من المتعة عند فراقهم إيّاهنّ بالطّلاق بقوله(١): ﴿ ومتّعوهنّ على الموسع قَدَرُه وعلى المقتر قَدَرُه متاعاً بالمعروف حقّاً على المحسنين﴾(٢)

وأسرّحكنّ سراحًا جميلا: وأطلّقكنّ على ما أذن الله به وأدّب به عباده بقوله(٣): ﴿إذا طلّقتم النّساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ﴾(٤)

ينادى الحقّ جلّ وعلا حبيبه ﷺ بالقول: ﴿يا أيّها النّبيّ﴾ ويأمره بأن يقول لزوجاته رضوان الله تعالى عليهنّ اللاّتى سألنه النّفقة الّتى ليست عنده ويخيّرهنّ: إن كنتنّ تردن الحياة الدّنيا على الآخرة وزينة الحياة الدّنيا الفانية على النّعيم المقيم في جنّات النّعيم فتعالين معزّزاتٍ مكرّماتٍ أعطيكنّ متعة الطّلاق، وأطلّقكنّ طلاقاً جميلاً كما أذن الله تعالى به وأدّب به عباده.

وإن كنتنّ تردن رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ وتؤثرن الدّار الآخرة على الأولى والنّعيم المقيم في جنّات النّعيم فإنّ الله تعالى أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً، في الجنّة الّتى فيها مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد اخترن جميعهنّ الله تعالى ورسوله ﷺ والدّار الآخرة، رضوان الله تعالى عليهنّ أجمعين.

---

(١) سورة البقرة ٢٣٦

(٢) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٩

(٣) سورة الطّلاق ١

(٤) تفسير الطّبرى ٢١/ ٩٩

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة: قال ابن عبّاس: هي النّشوز وسوء الخلق(١)

يتحوّل الحديث إلى أمّهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهنّ ويناديهنّ السّياق بالقول: ﴿يا نساء النّبيّ﴾ ما أرفع منزلة أمّهات المؤمنين، لأنهنّ زوجات المصطفى ﷺ، فنلن بعض حقوق الأمّهات على الحقيقة. وكما كان لهنّ رضوان الله تعالى عليهنّ حقوق، كان عليهنّ واجبات بقدر المنزلة الرفيعة لهنّ. ويلاحظ أنّنا بصدد أسلوب الشّرط. والشّرط لا يقتضي الوقوع(٢) ثمّ بصدد القول: ﴿من يأت﴾ والمعروف أنّ جملة أتى تُستَعْمَل في القرآن الكريم دليلاً على البعد. وما أبعد النّشوز وسوء الخلق منهنّ رضوان الله تعالى عليهنّ. إنّ تلك الفاحشة الظّاهرة من نشوز وسوء خلقٍ لو فُرِض أنّ مِنهُنّ من أتاها فإنّ الله تعالى يؤتيها مثلين من العذاب الّذي يستحقّه سواهنّ من الزّوجات. وذلك العذاب المضاعف في مقابل المنزلة الرّفيعة الّتي ليست لغيرهنّ من النّساء. وكان ذلك العذاب الشّديد يسيراً على الله تعالى وهيّنا.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
عشيّة يوم الجمعة ٢٨/١/١٤٢٠هـ
الموافق ١٤/٥/١٩٩٩م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

(١و٢) تفسير ابن كثير ٦/٤٠٤

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
المقدّمة		٧
أوّلاً: تمام سورة العنكبوت.....		٩
بين يدي التّفسير		١٥
التّفسير		٢٥ ـ ٦٠
١ـ مِنْ أهل الكتاب ومن العرب من يؤمن بالقرآن الكريم الّذي أُوحي إلى النّبيّ الأمّيّ ومنهم من يكفر، وثواب المؤمنين وعذاب الكافرين	٤٦ - ٥٥	٢٧
٢ـ ثواب المهاجرين والمجاهدين كبيرٌ في الأولى والآخرة وعذاب الكافرين الجاحدين نعم الله تعالى عظيمٌ في الأولى والآخرة.....	٥٦ - ٦٩	٣٩
تعقيب		٥٥
ثانياً : سورة الرّوم		٦١
بين يدي التّفسير		٧١
التّفسير		٨٥ ـ ١٦٢
١ـ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى لهم على الكافرين الّذين لم يتفكّروا في أنفسهم وفي آثار الّذين أهلكهم الله تعالى بذنوبهم.....	١ - ١٠	٨٧
٢ـ ثواب المؤمنين يوم القيامة وعقاب الكافرين	١١ - ١٩	٩٩

فسبحوا بحمد ربكم الذي إليه ترجعون.....		
٣ـ بعض آيات الله تعالى الدالّة على القدرة المطلقة على البدء والإعادة فأفردوا الله تعالى بالعبادة وعليكم بالجماعة.....	٢٠ - ٣٢	١٠٥
٤ـ المشركون يصرّون على شركهم وكفران النّعم فيخزيهم الله تعالى وينصر المؤمنين عليهم.....	٣٣ ـ ٤٧	١٢٥
٥ـ الله تعالى يحيي الأرض الميتة، ويبعث الموتى يوم القيامة، وينصر المؤمنين في الأولى والآخرة، ويخزي الكافرين.....	٤٨ - ٦٠	١٣٩
تعقيب		١٥٧
ثالثاً: سورة لقمان		١٦٣
بين يدي التّفسير		١٦٩
التّفسير		١٨١ ـ ٢٣٧
١ـ المحسنون يتّبعون القرآن الحكيم، والضّالّون يولّون عنه مستكبرين، والله تعالى خالق كلّ شيء، والآلهة الزّائفة لا تخلق شيئاً.....	١ - ١١	١٨٣
٢ـ لقمان الحكيم يعظ ابنه	١٢ ـ ١٩	١٩٣
٣ـ ثواب الشّكورين لله تعالى نِعَمَهُ المحسنين، وعقاب الكفورين النّعم الكافرين.....	٢٠ ـ ٢٤	٢١١
٤ـ على المشركين المقرّين بتوحيد الرّبوبيّة أن يقرّوا بتوحيد الألوهيّة ويعبدوا الله تعالى العليّ الكبير العليم الخبير وَحْدَه	٢٥ ـ ٣٤	٢١٧

تعقيب		٢٣١
رابعاً: سورة السّجدة		٢٣٩
بين يدي التّفسير		٢٤٥
التّفسير		٢٥٣ ـ ٢٨٩
١ـ الله تعالى أنزل الكتاب العزيز، وأحسن كلّ شيءٍ خلقه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم..	١ ـ ٩	٢٥٥
٢ـ العذاب الشّديد في الأولى والآخرة لمنكرى البعث المعرضين عن آيات الله تعالى، والثّواب العظيم للمؤمنين المهتدين بنور القرآن الكريم العابدين	١٠ ـ ٢٢	٢٦٥
٣ ـ تثبيت فؤاد النّبيّ ﷺ، وحثٌّ لمنكرى البعث على الاعتبار، ونهيٌ لهم عن الاستهزاء والاستكبار	٢٣ ـ ٣٠	٢٧٩
تعقيب		٢٨٧
خامساً: سورة الأحزاب حتّى نهاية الجزء الحادي والعشرين		٢٩١
بين يدي التّفسير		٢٩٧
التّفسير		٣١١ ـ ٣٧٩
١ـ يا أيّها النّبيّ دم على تقوى الله تعالى، واتّباع وحيه، والتّوكّل عليه	١ ـ ٣	٣١٣
٢ـ ما جعل الله تعالى لرجلٍ من قلبين يعقل بهما، وما جعل الزّوجات المظاهر منهنّ أمّهات، وما جعل الأدعياء أبناء.....	٤ و ٥	٣١٩
٣ ـ منزلة النّبيّ ﷺ رفيعةٌ بين المؤمنين والنّبيين،	٦ ـ ٨	٣٢٩

وزوجاته أمّهات المؤمنين، وأولو الأرحام أولى بالميراث		
٤ ـ غزوة الأحزاب أو الخندق	٩ ـ ٢٥	٣٣٩
٥ ـ غزوة بني قريظة	٢٦ و ٢٧	٣٦٧
٦ ـ زوجات النّبيّ ﷺ يخترن الله تعالى ورسوله والدّار الآخرة	٢٨ ـ ٣٠	٣٧٣